

من تراث برطلي

الشاس بهنام دانيال

التي قد تصادفهم، وكان المختار يتميز بالحكمة وسداد الرأي إضافة إلى قيامه بواجب الضيافة للغرباء أيضاً، فكانوا يجتمعون لديه ويحتسون القهوة المرة حسب العادة المتبعة لدى شيوخ العرب، وكانوا يتناقشون فيما بينهم عن الأمور الزراعية، فكان المختار والحالة هذه يعتبر مرجعاً للأهالي وكان يقوم بإنجاز معاملاتهم في الدوائر الرسمية وكان الأهالي بدورهم يساهمون في تقديم كمية من الغلات سنوياً للتقليل من النفقات التي يصرفها المختار كل عائلة حسب طاقتها وقابليتها، وكان يقوم بهذا العمل شخص يعمل في دار المختار

الحالة الاجتماعية والتقاليد

لم يكن في القرية نظام عشائري كما هو المتبع لدى العشائر العربية، وكان المختار هو كبير القرية له مكانة اجتماعية ومتمكن من الناحية المالية، وكان الذين يأتون إلى القرية من خارجها يقصدون دار المختار ويحلون ضيوفاً عليه وكذلك كان يقصده أصحاب الحاجات يعرضون عليه حاجاتهم فيعمل على تذليلها.

من المعلوم أن القرية سابقاً كانت خالية من المقاهي والنوادي فكان أهالي وأبناء القرية وشيوخها يجتمعون لدى المختار الذي هو بمثابة رئيس القرية حيث كان داره يعتبر كديوان للاجتماع للتداول في الأمور

يسمى " الكزير " كان يتولى تبليغ الأهالي إضافة إلى تقديم القهوة وخدمة الضيوف. أما الشخصية الثانية في القرية فكان كاهن القرية وكانت داره تعتبر مضيفاً يقصده الناس ويقضون عنده بعض الوقت صباحاً ومساءً يتبادلون فيها الأحاديث وما يجري في القرية من الأمور، وكان للكاهن مكانة مرموقة ويكنون له كل التقدير والاحترام وكان يعتبر بمثابة حاكم وحكيم لأبناء القرية روحياً واجتماعياً وكانت كلمته هي الأولى والأخيرة وينفذون كلامه بحذافيره ويطيعونه في كل الأمور التي تؤول إلى مصلحة القرية.

إما ليلاً فكانوا يذهبون بعضهم عند بعض ويتسامرون ويستمعون إلى الحكايات والروايات التي يرويها الحكواتي أي الراوي الذي كان يتميز بأسلوبه اللذيذ وصوته الذي يندمج مع إحداث الحكاية لاسيما في فصل الشتاء حيث كانوا يجتمعون حول مواقد النار ويحلو السمر في تلك الليالي الطويلة والباردة لانعدام المدافئ النفطية أو الغازية فكانوا يستعملون فضلات الحيوانات اليابسة للتدفئة مع ما يرافقها من دخان اسود كثيف وروائح تزكم الأنوف وبهذا كنت ترى

معظم البيوت القديمة في برطلي قد اسودت جدرانها الداخلية وسقفها البيضوية نتيجة استعمال مثل هذه المواقد لأنه لم يكن هناك وسيلة أخرى لدرء شدة البرد القارص. أما في فصل الصيف فكان الجلوس في فناء الدار على دكة عالية خصصت للجلوس أو على السطوح لان البيوت كانت تتميز بمساحة كبيرة من الفناء يخصص قسم منه للحيوانات وكان بمعزل عن القسم الآخر.

كانت هنالك تقاليد وعادات اجتماعية تسود مجتمع برطلي وكانت هذه التقاليد سائدة تقريبا في معظم المناطق المسيحية ولاسيما في القرى اللانذة في سهل نينوى حيث كانت تربطها عادات وتقاليد مشتركة.

إن الحياة الاجتماعية والسلوك الإنساني والتقاليد والعادات لم تأت دفعة واحدة وإنما عبر مرورها بفترات زمنية قد تطول أو تقصر فيقتبس منها الانسان ويضيف اليها الى ان تتكون بعض التقاليد والعادات تمارس من قبل ساكني المنطقة دون اخرى وتستمر ثابتة يتناقلها الخلف عن السلف محافظين على قدر الامكان او يدخلون عليها تحسينات مقتبسة حسب المرحلة الزمنية وحياة المجتمع، لان الحياة هي في تطوّر

وتقدم ومع تطورها وتقدمها تدخل بعض السلوكيات الجديدة فتؤثر في العادات والتقاليد التي كانت سائدة سلباً أو إيجاباً .

ان الحياة اليوم تختلف تماماً عن السابق فقد تغيرت امور كثيرة وتبدل نمط الحياة وتطورت تطورا كبيرا فما كنت تراه بالأمس قد تغير اليوم تماما، فأسلوب الحياة في العائلة سابقا تختلف عن حياة العائلة اليوم إذ كانت العائلة سابقا تعتمد على افرادها رجالا ونساء في العمل لان الامور كانت تتطلب ذلك وكانت الاعمال تتوزع على الجميع بما فيهم رب العائلة، فكان كل واحد يقوم بعمله الذي خصص له سواء في الزراعة ام برعي الحيوانات ام الصناعة، اما النساء فكانت على الاغلب تقوم بأعمال البيت من طبخ وغسل وتنظيف وتهيئة مستلزمات البيت وجلب المياه من مناطق بعيدة ومن الآبار في القرية لعدم وجود مشروع إسالة الماء سابقاً، وكانت الحياة تعتمد على الزراعة غالباً وكان لا يخلو بيت من البيوت من الحيوانات التي كانت تعتبر وسيلة مهمة للقيام بالأعمال الزراعية.

اما اليوم فقد تغيرت الحالة فقد خلت معظم البيوت إن لم يكن جميعها من

الحيوانات، وأخذ الناس يسكنون في بيوت عصرية مزودة بالماء والكهرباء الامور التي كانت تفتقر اليها الحياة سابقاً، ومعظم الناس تركوا الزراعة التي كانت تعتبر العمود الفقري في معيشتهم فأصبحت الزراعة ثانوية في حياة الأهالي لأن معظم أبناءهم يدرسون في مدارس عالية وينتخرجون بشهادات عليا أو يعملون في دوائر حكومية، أما الذين يمارسون الزراعة حالياً فانهم يستعملون الآلات الحديثة في الأعمال الزراعية من حراثة وقلب التربة وحصاد دون ان يبذلوا الجهد والتعب الذي كانوا يقاسونه سابقاً لأن هذه الاعمال كانت تتم يدوياً أو بالآلات بسيطة، فكانت الحراثة تتم بالمحراث القديم " الاوگر " تجره الحمير او البغال وتستغرق فترة طويلة، والحصاد كان بالمنجل فكان الفلاح يستغرق الصيف كله في دراسة الغلات وتنقيتها ونقلها الى البيت وتهيئتها للموسم القادم أي ان الفلاح كان منهمكاً بالأعمال الزراعية طوال أيام السنة وهو خارج المنزل عدا الأحاد والأعياد.

أما في البيت فتستعمل اليوم الأدوات والأواني الزجاجية أو المصنوعة من

المراسيم الدينية في الكنيسة وكانوا يقدمون التهاني بعضهم للبعض، وكانت العوائل تتبادل الزيارة مع العوائل الأخرى في جو تسوده المحبة والاحترام.

أما فيما يخص الزي والملابس فقد حافظ أهالي برطلي على زيهم الخاص رجالاً ونساءً حتى الخمسينيات من القرن الماضي حيث بدأت تدخل وتغزو الأسواق الملابس الحديثة، فاستبدلوا زيهم بملابس حديثة شيئاً فشيئاً وتركوا الزي القديم الذي كان يتميز بطابع خاص يميّز أبناء برطلي عن المناطق الأخرى فكانت تستدل من نوع الزي الذي يرتديه الرجل أو المرأة على المنطقة أو القرية، لأن كل منطقة كانت تتميز بزي خاص بها.

كانت مجتمعاتنا في هذه القرى يصبغون ملابسهم وحليهم بأيديهم من المواد المتوفرة لديهم محلياً كالقطن والصوف والشعر هذه المواد التي كانوا يحصلون عليها من حيواناتهم أو منتجاتهم الزراعية، فيقومون بتنظيفها وغزلها ثم ينسجونها بآلات الحياكة "الجومة" التي لا يخلو بيت من بيوتاتهم منها، ما يحتاجونه للكساء والملبس والسكن.

الستيل. كذلك الأدوات الكهربائية والمصنوعة من الألمنيوم والبلاستيك السهلة الاستعمال التي حلت محل الأدوات القديمة المصنوعة من الخشب والتي كانت مستخدمة في الأمور البيئية إذ انقرض استعمالها وأصبحت من التراث. كما دخل الى البيوت اليوم التلفاز والكمبيوتر والانترنت التي لم تكن موجودة سابقاً وكانت تقتصر على جهاز المذياع فقط.

من التقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة في برطلي وفي معظم المناطق والقرى المسيحية الاهتمام بالأعياد والمناسبات الدينية، فكان حرص الأهالي بها كبيراً وكانوا يستعدون لها ويتهيأون لاستقبالها والاحتفال بها.

فكان لعيد الميلاد ورأس السنة والدنح وعيد القيامة مكانة كبيرة في نفوسهم، فكانوا يقومون بتنظيف الدور وفرشها وتزيينها بالمفروشات الجديدة والجميلة إضافة الى عمل الكليجة والكبة فتهياً المستلزمات لذلك قبل العيد بعدة أيام، وكان الناس رجالاً ونساءً يلبسون أيام العيد أفخر الثياب لاسيما النساء بارتدائهم الملابس المزركشة المتعددة الأشكال والألوان، وكان الأهالي يحضرون

زخارف هندسية وكذلك فتحة الصدر، كما كانت الاقمشة يتم صبغها بأصباغ متنوعة حسب الحاجة.

إلا أن تقدم الحياة وتطورها ودخول الأزياء الجديدة المستوردة وانخراط الكثير من الرجال والنساء في الوظائف الحكومية أدى الى استبدال الزي القديم بأخرى عصرية وغيابه عن الأنظار.

وكانت الملابس تتكون من زبون وقميص، وكان الزبون يصنع من قطن يكون لونه شبيهاً بلون التبن ويقال للنسيج منه " خام صابوري " ويسمى محلياً باليوز يتخذ منه الفلاحون ثيابهم يحاك في برطلي وكرمليس وهو قوي ثابت اللون يلبسه الرجال فتنقش وتزخرف جيوبه وأطرافه بنقوش جميلة ملونة بالإبريسم على شكل

